الثاني هو محاولة بناء خيوط تجمع خط الرواية بأسرها كقضية الزواج التي يطرحها الطبيب مع زياد ثم تنتهي الرواية بزواج زياد وفجر .

غير ان الثوابت الفنية تبقى غير قادرة على ضم العمل اليها . وهذا يعود الى عدم قدرة المؤلف على تحريك شخصياته بشكل مقنع . فنعود ثانية الى صدى صوت المؤلف على لسان ابطاله . ويغيب الثابت الفني لمصلحة ثابت سياسي مسبق . هنا نصل الى المناقشة الاساسية . فما معنى وجود الابطال طالما كانت تجربتهم متشابهة الى حد التطابق . اما رحلة غالي فانها لا تضيف سوى المزيد من التفاصيل على هذا التطابق . هكذا يصل المؤلف الى الثابت السياسي الوحيد ، ويبدأ باطلاق أحكامه بشكل شبه مجاني . يريد الوصول الى الواقع فيضيع في الايديولوجيا . يفتت الواقع ويمزق أوصاله ، لينتهي بمصالحة ذاتية على الطريقة الرومانسية التقليدية . وتتهاوى جميع التنظيرات السياسية أمام فجاجتها وعدم قدرتها على الاقناع . فالاسقاط السياسي حين يصبح مجردا عن علاقات اجتماعية متكاملة ، داخل البنية الروائية ، يصبح بلا مبرر حقيقي ، وتسقط جميع محاولات الاقناع .

حول الرواية « الفلسطينية » :

تسمح هذه المعالجة النقدية الاولية ، بطرح العديد من الاسئلة على خط تطور الرواية « الفلسطينية » . فبينما وصلت هذه الرواية مع حبيبي وكنفاني الى قدرة على استنطاق الواقع والتغلغل في أعماقه من منظور العملية الثورية نفسها ، نجد أنفسنا فجأة أمام منحدر روائي يعود الى الوراء . وكأن على التجربة الادبية ان تنطلق دائما من العدم . فالروايتان اللتان نعالج تسقطان في مسألتين أساسيتين :

١ ــ **الموقف الواحد** : يعبر هذا الموقف الواحد عن نفسه داخل بنية روائية واقعية مبدئيا . أي أن المقياس الاساسي لتقييم هذه البنية هو في قدرتها على الاحاطة الشاملة بالعلاقات التي تعبر عنها . لكننا هنا أمام موقف اسقاطي لا يتزحزح . الشخصيات لا تتطور والواقع الموضوعي حين يتحول ، فانه يبقى ضمن مسار معروف سلفا . هذا الموقف الواحد حاولته الرواية العربية بطريقة افضل . اذ أتت البنية الشعرية لتتزاوج ولو بشكل جزئي مع البنية الروائية . لكننا هنا نفتقد الشعر . نحن أمام منحدر نثري . يشبه النثر الصحفي . لا توجد لحظة شعرية واحدة . هكذا أضاع ابو شاور شخصية غالي ولم يستطع حوراني تطوير اطارات طفولة خالد . فبقينا أمام صورة مشوهة لرواية الموقف العربية .

٢ ــ **الواقع المحطم** : حين يريد العمل الروائي ان يتحول الى شهادة على مرحلة كاملة ، فان عليه على الاقل التخلي عن المسبقات الجامدة . نحن هنا لسنا سوى أمام سلبيات المقاومة . حتى الفرح الجماهيري والموت الجماعي نفتقده في هذين العملين . الموقف السياسي وحده هو المهيمن . حتى في هذا الموقف ، فان النقد الشامل دون الوصول الى قدرة على التقييم الموضوعي ، يصبح مجرد تفتيت للواقع . تكسير المرآة لا يؤدي الى تكسير العالم . فالرؤية حين تجمد أمام موقف مسبق وبطريقة يائسة بشكل مطلق او نسبي ، تضيع على نفسها فرصة الاقناع وتتحول الى شهادة شخصية سيكولوجية .

لا تريد هذه الملاحظات الايماء تلميحا او تصريحا باعتراض على ضرورة النقد السياسي . لكنها تريد التأكيد على ان الشكل الادبي لا يحتمل حالة سيكولوجية فردية . فالرواية الواقعية عالم متكامل وليست مجرد لحظات انفعالية يسقطها الكاتب وهو يتناسى التضحيات الجماهيرية التي تبقى أساس كل امتداد فني نحو الممارسة الثورية .